دور الأقليات المسلمة في الدعوة إلى الله

إعداد صاحب المعالي الشيخ

محمد بن ناصر العبودي

الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي

عنيت بالطبع دار الطرفين
جوال ٠٥٠٥٧٠٤٨٠٨/ ٠٥٠٣٥١٢٤٩٩

www.tarafen.com
tarafen@maktoob.com

يطلب من مكتبة الفرقان
مكة المكرمة ٠٥٠٤٦٢٨٥٨٧

دور الأقليات المسلمة

في الدعوة إلى الله

إعداد

الشيخ / محمد بن ناصر العبودي

الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies

https://dawa.center

رقم الإيداع : ٣٢٧,٥٣١,٢١٩
ردمك : ٢ ـ ٨٢٧ ـ ٠٠ ـ ٥٧ ـ ٩٩٦٠

دار الطرفين
للنشر
والتوزيع
الطائف ـ وادي وج ـ جنوب جسر خالد بن الوليد
جوال : ٠٥٠٥٧٠٤٨٠٨ ـ ٠٥٠٣٥١٢٤٩٩
www.tarafen.com
tarafen@maktoob.com

الموضوع المنشور يمثل رأي صاحبه

ولا يعبر بالضرورة عن رأي الرابطة

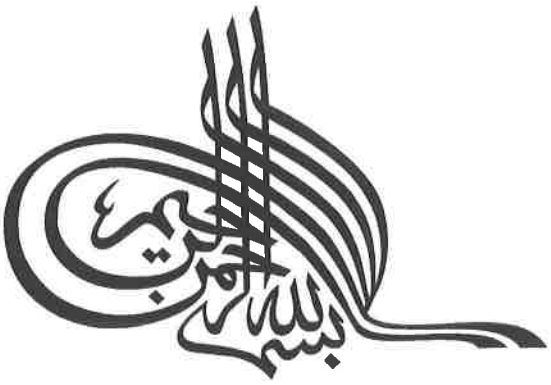
بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بالأقليات المسلمة

جرى العرف على اعتبار الدولة التي يزيد عدد المسلمين فيها على ٥٠٪ من السكان دولة مسلمة ، فإذا قلَّت النسبة عن ذلك كان المسلمون أقلية في الدولة المعنية ، وليس معنى ذلك أن عدد المسلمين قليل في تلك الدولة ، فعلى سبيل المثال نجد عدد المسلمين في الهند يزيد على (١٣٠) مليونًا ، ومع ذلك يعدون أقلية بالنسبة إلى عدد السكان الذين زادوا على مليار نسمة ، وعلى عكس ذلك في إثيوبيا فعدد المسلمين يزيد على ٥٠٪ ومع ذلك لا يطلق عليها دولة إسلامية ؛ لأن الحكم فيها ليس في أيدي المسلمين ، في حين أن أوغندا والجابون هما عضوان بمنظمة المؤتمر الإسلامي مع أن النسبة العددية للمسلمين فيهما تقل عن ٥٠٪ من عدد السكان .

لذلك يبدو أن أدق معيار ـ وإن لم يكن في غاية الدقة ـ هو الأخذ بالنسبة العددية للسكان ، وهو الذي يمكن أن يتحدد اصطلاحًا على أساسه اعتبار الدولة إسلامية ، وهو الذي يتفق مع المعيار السياسي .

وقلنا : اصطلاحًا ، ولا مشاحة في الاصطلاح كما يقول علماء الأصول عندنا .

(أ) الأقليات المسلمة وانتشارها في العالم :

وبناءً على المعيار المذكور يصح أن نقول : إن الأقليات المسلمة منتشرة في أنحاء العالم ، وتتوزع في أكثر من دولة ـ إن لم نقل كل دولة ـ خارج بلاد

الأكثريات المسلمة ، ويقدر عدد أفرادها بما يتجاوز (٤٠٠) مليون مسلم بقليل ، ويؤلف أفرادها جزءًا لا يتجزأ من العالم الإسلامي الذي يراد به الأمة المسلمة .

وأكبر تجمعات الأقليات المسلمة في آسيا ، إذ يوجد فيها نحو (٢٠٠) مليون نسمة في (٢١) دولة ، ومعظمهم في الهند والصين ، ثم في إفريقيا (٢٨) دولة ، والباقون موزعون في إستراليا وجزر المحيط الهادي والأمريكتين : الشمالية والجنوبية .

وتعيش الأقليات المسلمة في أوساط مجتمعات وثقافات ومعتقدات دينية مختلفة ، من هندوكية وبوذية ومسيحية وغيرها ، وفي ظل حكومات ذات نظم وقوانين وضعية متعددة ؛ ولذلك تختلف أوضاعها وظروفها بين بلد وآخر .

مشكلات الأقليات المسلمة :

تواجه الأقليات المسلمة مشكلات وتحديات كثيرة تقف في سبيل ازدهارها ، بل تقف في وجه حياتها الثقافية ، ومن هذه المشكلات تخلف بعضها في الناحية الثقافية أو التعليمية ، فبعض أبناء الأقليات المسلمة محرومون من التعليم لأسباب متعددة منها : ضعف الإمكانات المادية والأدبية لدى المسلمين ، أو قلة المرافق لدى الدولة التي يعيشون فيها من مدارس ومراكز وجامعات .

إضافة إلى ما يلقيه عليها كونها أقليات من تأثير الأكثريات غير المسلمة التي تعيش معها ، ومن ذلك ما يتعلق بالتربية وتنمية المناطق التي يسكن فيها

المسلمون في تلك الأكثريات غير المسلمة ، وهذا قد يكون غير مقصود وإنما نشأ من طبيعة ما ذكرناه ، إلا أن كثيرًا من الأقليات المسلمة توجه لها الأكثريات غير المسلمة ضغوطًا تتعلق بمحاولة أن تفتنها عن دينها ، أو أن تجعل ناشئة المسلمين تبتعد عن جذورها الإنسانية ، أو على الأقل تشككها فيها ، إلى جانب قلة الطاقات البشرية المؤهلة في هذا المجال من أبناء بعض الأقليات المسلمة ، أو عدم توفر المناهج الخاصة بالتعليم الإسلامي ، أو ندرة الكتب الإسلامية المخصصة لأبناء الأقليات المسلمة والمناسبة لأوضاعها وحاجاتها ، وأعظم ذلك وأفظعه أنه في بعض بلاد الأكثريات غير المسلمة تعتقد بعض الجمعيات والجهات المتعصبة فيها أن الأقلية المسلمة غريبة عن البلاد ، وأنها لكي تصبح من أهل البلاد حقًّا يجب عليها أن تتخلى عن إسلامها ، أو على الأقل تتخلى عن العمل به .

(ب) مساعدة الأقليات المسلمة :

لابد للنهوض بالأقليات المسلمة من التعاون بين المسلمين في بلاد الأكثريات المسلمة على مساعدة الأقليات المسلمة وربطهم بجمهور المسلمين ، عن طريق الزيارات والاتصالات لتجديد التعاون والعمل المثمر لربط المسلمين بماضيهم ، في زيارات ميدانية إلى المناطق التي توجد فيها تلك الأقليات بقصد إعادة التواصل بينهم وبين إخوتهم المسلمين في بلاد الأكثريات .

ومما يسر أن بلادنا كان لها النصيب الأكبر من تلك الزيارات ، فقد قامت بإيفاد البعثات وعقد الندوات والمؤتمرات في أماكن تجمع الأقليات المسلمة ، كما قامت بالاتصال بالمسئولين في حكوماتها لحثهم على الاهتمام بمصالح المسلمين في أوساطها ، ولإبراز الاهتمام بقضاياها ومساعدتها ماديًّا ومعنويًّا على ذلك .

وفيما يتعلق برابطة العالم الإسلامي قام المسئولون في الرابطة ـ وعلى رأسهم الأمين العام والأمين العام المساعد ـ بعشرات الرحلات إلى أنحاء العالم التي فيها أقليات مسلمة لهذا الغرض ، وشمل ذلك المساعدة على بناء المساجد ، أو الاحتفال بافتتاح مساجد ساعدت بلادنا على بنائها ، أو افتتاح المدارس ، أو حضور الاحتفال بالمتخرجين فيها ، أو عقد مؤتمرات إسلامية إقليمية أو دورات دراسية تعليمية أو تثقيفية لأئمة المساجد والدعاة في تلك البلاد ، وتوزيع كتب علمية أو ترجمات معاني القرآن الكريم بلغة سكان المنطقة ، أو تخصيص منح دراسية لأبناء المسلمين فيها ، أو توجيه دعوات إلى الحج والعمرة لزعماء المسلمين وعلمائهم في ضيافة رابطة العالم الإسلامي ، أو حتى حضور الاحتفالات الوطنية التي تقيمها دول أقليات مسلمة بغية توثيق الروابط معها من أجل نفع المسلمين فيها .

وهناك أمر مهم وهو أن الرابطة تضم في مجالسها ـ كالمجلس التأسيسي والمجلس الأعلى العالمي للمساجد ومجلس المجمع الفقهي ـ طائفة من العلماء

والزعماء والمفكرين من أبناء المسلمين سواء في ذلك بلاد الأكثريات المسلمة وبلاد الأقليات ، يجتمعون في هذه المجالس في رحاب الرابطة ، ويتدارسون ـ بجوار بيت الله الحرام ، وفي جو أخوي إسلامي ـ فيما يهم المسلمين من أمور دينية وثقافية وسياسية ، ويصدرون ما يرونه من قرارات .

الدعـوة إلـى الإسـلام :

الدين الإسلامي الحنيف دين دعوة وانطلاق ، وليس دين تقوقع ورهبانية في صوامع ، يغلق ساكن الصوامع أو المتعبد فيها الباب على نفسه فلا يتصل بالناس ولا يتصل به عامة الناس ، بل الإسلام دين دعوة .

يقول الله ﷻ مخاطبًا رسوله ﷺ : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف : ١٠٨] ، فكل مسلم في الحياة سبيله أن يدعو إلى الله على بصيرة ، وهذا نص القرآن الكريم ، والبصيرة الواردة في الآية الكريمة تتضمن البصيرة في الدين ، وفي مرحلية الدعوة في حال المدعوين .

ووردت آية أخرى في الدعوة موجهًا فيها الأمر بالدعوة إلى رسول الله ﷺ ، وهي قوله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥] ، هذا أمر موجه بالخطاب إلى رسول الله ﷺ .

وعند علماء المسلمين أن كل أمر موجه لرسول الله ﷺ فإنه موجه لجميع أمته ؛ لأنه أسوة أمته ﷺ ـ إلا إذا دل دليل شرعي على أن ذلك الأمر هو من

اختصاص الرسول ﷺ ، عندئذ يكون له حكم آخر ، وإلا فالأصل أن كل أمر موجه لرسول الله ﷺ من ربه ﷻ فإنه موجه لجميع المسلمين ، فهذه الآية الكريمة التي فيها الأمر بالدعوة موجهًا لرسول الله ﷺ ، قد وردت الآية الثانية التي تلوناها قبل قليل توضح بأن ذلك الأمر عام للمسلمين جميعًا ، وهي قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف : ١٠٨] ، فهذا يدل نصًّا على أن كل مسلم مخاطب بأن يدعو إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ ، وليس ذلك خاصًّا بالرسل عليهم السلام .

ودعوة المسلم إلى الله هي تبليغ لما أرسل الله به رسله إلى الناس من الدعوة إلى الخير ، تبليغ للناس جميعًا ، وقد حث الإسلام على الدعوة إلى الله ورغب في ذلك ، كما في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم خيبر : « **والله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم** » ، والنعم : الإبل ، وحمرها ـ أي ذات اللون الأحمر ـ هي أنفسها وأغلاها ، فكأنه قال : إن ذلك خير لك من أنفس الأموال في الدنيا .

دور الأقليات المسلمة :

دور الأقليات المسلمة المطلوب أن تقوم به في الدعوة إلى الإسلام هو عظيم ؛ لأنها تخالط غير المسلمين ، بل تعايشهم ، وأكثر الشعوب التي تعيش فيها أقليات مسلمة لا يعرفون الإسلام إلا من حال الأقلية المسلمة التي تعيش بين ظهرانيهم .

لذا يجب على الأقليات المسلمة أن تتمثل الإسلام تمثلًا صحيحًا وعملًا وسلوكًا ومعاملة ، وذلك يتطلب معرفة كافية بالدعوة ، بل بمرحلية الدعوة ، ولا شك في أن بعض الأقليات المسلمة ليست على درجة من الوعي بأمور الدين الإسلامي عامة ، وبالدعوة على وجه خاص .

ولابد في الحديث عن الدعوة من أن نتحدث عن ميدان العمل ؛ لأنك إذا أردت أن تتحدث عن عمل فلابد من أن تتحدث عن مسرح ذلك العمل ، أو على الأدق مكان ذلك العمل .

ميدان الدعوة :

كل مكان في الأرض هو ميدان للدعوة إلى الله ، قال تعالى مخاطبًا رسوله ﷺ : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [سبأ : ٢٨] ، أي أن الرسول ﷺ قد أرسله الله إلى الناس كلهم ؛ لذلك يجب تبليغ دعوته للناس كلهم ، ومن ذلك بلاد الأقليات المسلمة بطبيعة الحال ، وقال الله ﷻ : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ١١٥] .

لاشك أن العلماء الأوائل ـ أو بعضهم ـ لم يتصوروا مدلول هذه الآية الكريمة حق التصور ؛ لأن وقتهم وظروف حياتهم تختلف عما عليه ظروف الحياة الآن ، ولكون المعلومات الإنسانية لم تصل إلى ما وصلت إليه في الوقت الحاضر .

ويمكن أن نضرب مثالًا بجزر فيجي التي هي بعيدة كل البعد عن مكة المكرمة ، وفي العصور القديمة عندما أشرت إلى أن بعض العلماء لم يكونوا

يتصورون بعض ما تدل عليه هذه الآية الكريمة : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ١١٥] ، في ذلك الوقت لم تكن جزر فيجي معروفة للمسلمين ـ فضلًا عن أن يدخلها الإسلام ـ ، والآن يوجد في فيجي أربعة وخمسون مسجدًا ، وفيها خمس عشرة مدرسة إسلامية ، ومعنى الإسلامية هناك : التي تدرس فيها الموضوعات الإسلامية ، ولا يقصدون من ذلك بالمدرسة الإسلامية : التي لا يدرس فيها إلا الموضوعات الإسلامية كما هو معروف الآن في بعض بلدان الهند ، فهم يأخذون من المنهج العام للدولة ما تمس الحاجة إليه ، وما يستطيعون به أن يجعلوا الدولة تعترف بشهادات المدرسة ، ثم يضيفون إليه الموضوعات الإسلامية ويدرسونها ، سواء أكان طلابها بنين أم بنات ، وبعد ذلك يستطيع المتخرج من أولاد المسلمين في هذه المدارس أن يلتحق بالجامعات ؛ لأن الدولة تعترف بشهادات تلك المدارس .

قال لي بعض الإخوة من أهل فيجي : نحن أول من تطلع عليه الشمس ممن يقولون : الله أكبر ، يعني ممن يؤذنون ويرفعون أصواتهم بالأذان ، ويريد بذلك أنهم أول من تطلع عليهم الشمس من المسلمين بعد خط التاريخ الدولي الذي يقسم الأرض قسمًا اصطلاحيًّا إلى قسمين : شرقي وغربي ، ويتغير عنده التوقيت ، إذ يقفز من يأتي إليه من الغرب يومًا واحدًا ، ويخسر من يأتي إليه من الشرق واحدًا واحد .

ويجب أن يتوافر لدى الدعاة إلى الله في بلاد الأقليات المسلمة أمران :

الأول : هو إخلاص الدعاة إلى الله هناك .

الثاني : القدوة الحسنة في الداعية .

كثير من الناس ـ سواء أكانوا في بلاد متقدمة إداريًّا أم متخلفة إداريًّا ـ يقتدون بعمل الشخص وينظرون إليه أكثر مما يتأثرون بقوله .

أريد أن أضرب مثلًا صغيرًا للعمل الصالح كيف يتأثر به الآخرون من واقعة وقعت في فرنسا .

قبل نحو سنة حدثني أحد الإخوة القائمين على مركز إسلامي جنوب فرنسا عندما سألته عن الفرنسيين الأصلاء من سكان البلاد وليسوا من المهاجرين ـ وكلمة الأصلاء والمهاجرين لا ينبغي أن تدل على تفضيل أو عدم تفضيل ، وإنما هذا هو الواقع ـ فأخبرني أن عدد الفرنسيين المسلمين المهاجرين عدد طيب ، وهو كثير بالنسبة للماضي ، قال : ومن أغرب ما حدث عندنا أن فتى فرنسيًّا أصيلًا أسلم على أيدي بعض الإخوة من المهاجرين المغاربة ؛ لأنه كانت لهم به صلة ، فأسلم وحسن إسلامه ، ثم بعد فترة حدثنا بأمر عجب : كان عندما أسلم يقول للإخوة المسلمين المقربين منه : إني أخشى ما أخشاه أن تتأثر والدتي لإسلامي ؛ لأنها متعصبة لدينها ، وهو يسمعها تتكلم كثيرًا بالنسبة للمسلمين كلامًا يدل على الكراهية وعلى التعصب ، قال : فلذلك عندما أسلمت أخفيت خبر إسلامي عن أمي لئلا تتكدر ، بدون أن أرجو أنها ستسلم ، بل إنني لا أرجو أن تسكت عني ، قال أخونا المغربي المسؤول عن الجمعية : فما راعنا إلا منظر هذا الشخص وقد جاء مع أمه إلى المركز الإسلامي فأعلنت إسلامها ووثقته رسميًّا .

قال : فسألناه ـ ونحن نعرف ما قاله عن أمه ـ : كيف أسلمت ؟ لنوثق إسلامها رسميًّا .

مرحلية الدعوة :

لابد من إعداد الدعاة في بلاد الأقليات المسلمة إعدادًا جيدًا للعمل الدعوي الذي يؤهلون له ، فقد تعقدت أساليب الحياة ، وانفتح من أقطار العالم الواسعة ما كان مغلقًا ؛ ولذلك تختلف ظروف العمل الإسلامي من منطقة عالمية إلى منطقة أخرى ، سواء من حيث الظروف الاجتماعية ، أو من حيث مرحلية الدعوة .

فالبلاد التي ليس فيها مسلمون وليس فيها تعريف بالإسلام يكون أهلها على درجة تغتفر فيها الصغائر في أول الأمر ؛ لأن المطلوب هو دعوتهم إلى العقيدة وإخلاص العبادة لله تعالى أسوة بمرحلية الدعوة عند أول البعثة المحمدية ، فقد لبث النبي ﷺ سنين يدعو إلى التوحيد فقط ولم تفرض الفرائض ، بل وبعد أن فرضت الفرائض كان تحريم بعض الأشياء التي لا تتصل بالعقيدة اتصالًا مباشرًا مثل الخمر تحريمًا متدرجًا .

ولا يعني ذلك أن الداعية ينبغي له أن يُحِلَّ لهم الخمر في أول الأمر ، وإنما المقصود من ذلك أن يهتدي بهذا الهدي الإسلامي في مرحلية الدعوة ، فينكر على غير المسلم عبادة غير الله وتعلق قلبه به ، وذلك بدعوته للتوحيد ، وبيان نعمة الإيمان التي تغمر قلوب المسلمين الصادقين ، ويذكر له الحكمة من تحريم الخمر في الإسلام ، ثم ينهاه عن تعاطيها .

ولا شك في أن المدعو إذا اقتنع بالإسلام فإنه سيقلع عن شرب الخمر ، وقد حدثني جماعة من أبناء المسلمين الذين كانوا مفرِّطين في دينهم ـ ومن ذلك أنهم كانوا يعاقرون الخمر ـ أنهم بعد أن هداهم الله وردهم إليه ردًّا جميلًا صاروا يجدون لكأس الماء القراح ـ من اللذة والسرور بشربه وبعد شربه ـ ما لم يكونوا يجدونه لكأس الخمر قبل ذلك ؛ لأن الإيمان يغمر قلوبهم ، وهو نعمة ما فوقها نعمة ، وسرور ما بعده سرور ، فلابد أن يأخذ الداعي إلى الله مثل أولئك القوم بالتدريج .

وقد رأيت من طريقة المسلمين في أمريكا الجنوبية والوسطى ما عجبت له ، فعلى سبيل المثال : رأيت في المصلى ـ الذي هو طابق من بناء جيد في وسط مدينة (سان سلفادور) عاصمة جمهورية السلفادور ـ رجلًا يصلي مع المسلمين ، وامرأة جالسة على كرسي خلف الصف ، وذلك في صلاة الظهر ، فاعتقدت أنهما مسلمان ، ولكن الدكتور (أرماندو بقيلة) ـ ويسمونه (أرماندو بكيلو) ، وهو القائم على هذا المركز بعد أن أسلم وحسن إسلامه ـ قال لي : إنهما لم يسلما بعد .

قال : وهذه عادتنا فيهم ، فلدينا الآن (٢٩١) مسلمًا جديدًا ممن ينحدرون من أسر مسيحية عريقة في المسيحية دعوناهم مثلما دعونا هؤلاء ، وقلنا لهم : أننا ندعوهم إلى الحضور للمسجد ، وأن يطلعوا على حقيقة الدين الإسلامي ، عن طريق ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإسبانية لغة البلاد ، وعن

طريق الإخوة الموجودين في المركز ، ولا مانع لدينا من أن يحضروا صلاتنا ، بل أن يصلوا معنا أول الأمر إذا شاءوا ، ونحن نعرف أنهم لا تقبل لهم صلاة ما لم يسلموا ، ولكننا نريد تقريبهم من الإسلام والمسلمين ، والهداية ـ من قبل ومن بعد ـ بيد الله تعالى .

وكذلك رأيت الإخوة المسلمين في مدينة (كيتو) عاصمة جمهورية (الأكوادور) يدعون غير المسلمين لسماع تلاوة القرآن الكريم ، ومعرفة معانيه عن طريق الترجمة لتفسيرها ، ويختلطون بهم أملًا بإسلامهم .

وهذا كله لكونهم ـ مثل أهل السلفادور ـ في بلد أكثر أهله مسيحيون ، بل كل أهله مسيحيون على وجه التقريب ، ولم يصل إليهم تبليغ إسلامي من قبل ، والمسلمون أقلية فيه ، وهو بلد فيه حرية دينية اغتنمها المسلمون في الدعوة إلى الله .

ولو كان مثل أولئك المدعوين يعيشون في بلد من بلدان الأغلبيات المسلمة لكان لدعوتهم منحى آخر .

ومن الأدلة الظاهرة على مرحلية الدعوة في ميدان آخر ـ وهو ميدان بذل المال للدعوة ولتثبيت الإسلام في النفوس ـ ما فعله الرسول ﷺ من إعطاء المؤلفة قلوبهم من المال ، فكان يعطيهم مع كونهم حدثاء عهد بالإسلام ، ويكل السابقين الأولين من المسلمين إلى إيمانهم ، وهم أفضل من أولئك كما هو معروف .

ولذلك عد من كان يشترط على من يدخل إلى الإسلام أن يجرى له الختان ولو كان كبير السن ، أو لا تحتمل طبيعته مثل هذه العملية ـ غير حكيم في دعوته ، كما حكي لنا أن أحد الدعاة إلى الله ـ في القرن الميلادي الماضي ـ كان قد دعا ملك بوغندا ـ بالباء الموحدة ، وهي جزء من جمهورية أوغندا ـ إلى الإسلام فاستجاب لذلك ، إلا أن الداعية قال أنه يجب عليه أن يختتن إذا أسلم ، وكان من اعتقاده واعتقاد قومه آنذاك أن دم الملك لا يجوز أن يذهب شيء منه هدرًا ، فترك الإسلام من أجل هذا الشرط !

إننا كثيرًا ما سئلنا عن الختان بالنسبة إلى المسلمين الجدد ، فكنا نقول لهم : إن الختان ليس شرطًا من شروط الإسلام ، ولكنه من سنن المرسلين ، وهو شعيرة من الشعائر للمسلم ، لذلك لا ينبغي للدعاة أن يخبروا من يدعونهم أنه يجب عليهم أن يختتنوا أنفسهم ، وإلا فإننا عرفنا بالتجربة أن من يسلم ويحسن إسلامه فإنه سوف يتقدم بنفسه من أجل إجراء الختان .

فقد حدثني الأخ (محمد أنجليوين) رئيس الجمعية الإسلامية في جزيرة المارتنيك في البحر الكاريبي ـ وهي جزيرة تعد من الناحية السياسية أرضًا فرنسية فيما وراء البحار ـ أنه أسلم ، ولم تطاوعه نفسه أن يختن أول الأمر ، ثم لما وقر الإيمان في قلبه ذهب إلى المستشفى الموجود في عاصمة الجزيرة (فوردي فرانس) وطلب أن يختنه المستشفى ـ وكان رجلًا وليس صبيًّا ـ فامتنع المستشفى من ذلك ، فاستأجر محاميًا فرنسيًّا أقام دعوى على المستشفى حتى قبل أن يختنه ، وقد ربح الدعوى وختن نفسه وهو كبير .

ومثل ذلك إصرار بعض الدعاة على أن يغير المسلم الجديد اسمه إلى اسم إسلامي ، وربما طلبوا منه أن يغير ملابسه ، وهذا ينبغي أن يراعي الداعية فيه حال المدعو ، فإن كان مطمئنًّا إلى ذلك مقبلًا عليه طالبه به ، وإلا لم يجعل ذلك سببًا لنفوره عن الإسلام ، أما الاسم فإنه إذا كان فيه تعبيد لغير الله ، أو تمجيد لشخص من الأشخاص لا يجوز تمجيده شرعًا ؛ فإنه يطلب منه أن يغير ذلك الاسم عند إسلامه ، أما إذا كان مجرد اسم اعتاد الكفار أن يسموا به أبناءهم فإنه لا مانع من تأخير تغييره أو عدم تغييره أصلًا ، وقد رأينا أن المسلمين الجدد الذين اطمأنت قلوبهم إلى الإسلام يغيرون أسماءهم قبل الإسلام إلى أسماء إسلامية رغبة منهم في التخلص مما يذكرهم بحالتهم قبل الإسلام .

ومن الصفات التي ينبغي أن يكون عليها الداعية أن يكون عزيز النفس مترفعًا عن صغائر الأمور المادية ، فلا ينظر إلى أيدي الناس ، ولا يتطلع إلى ما يعطونه حتى وإن كان في حاجة إليه ، وليستشعر الأخذ بالحديث الكريم : أنه إذا جاءه عرض من الدنيا وهو غير مستشرف له ولا سائل له أن يأخذه ، وإلا فينبغي له أن يتركه إذا لم يكن مضطرًّا لأخذه .

ويجب على الداعية المسلم في بلاد الأقليات أن يراعي الكلمات التي تخرج منه ، فتكون مهذبة لا تجرح أحدًا إلا من أقدم على الهجوم عليه بالكلام إذا لم يندفع بالتي هي أحسن ، وأن يعرف عنه حرصه على المنشآت العامة في البلد الذي يعمل فيه ، مثل التزامه بقواعد المرور التي تضعها السلطات المختصة في

ذلك البلد ، وأن يحرص على صيانة الحدائق والأماكن العامة فلا يلقي النفايات فيها جزافًا ، ولا يساعد على ذلك ، بل ينبغي أن يعرف عنه أنه إذا وجد من ذلك شيئًا ملقًى في غير مكانه أنه يضعه في مكانه .

وعليه أن يعرف بكف الأذى عن جيرانه .

وعليه أن يساعد العاجز والضعيف من غير المسلمين إذا احتاج إلى مساعدة ، وأن يعرف بذلك .

وهذا كله بالإضافة إلى معرفته بما يلزم له من معلومات دينية .

وينبغي له أن يطلب من المسلمين في بلاد الأقليات المسلمة أن يلاحظوا مثل هذه الأمور وألا يغفلوا عنها .

ويجب عليه أولًا وأخيرًا أن يعمل بما يقوله عن محاسن الإسلام وفضائله ، حتى يكون قدوة حسنة لمن يدخلون في الإسلام من غير أهله ، ومن يرجعون إلى الإسلام من أبناء المسلمين .

ويجب على الداعية ألا يمنّ بدعوته ، فيعتقد أن ما يحسنه من الدعوة إلى الله وما يعرفه من أمور الدين سبب لأن يكون متميزًا على غيره بشرف أو فضل يطالبهم بأن يعترفوا به له ، وأن يعاملوه على أساسه ؛ لأن ذلك العلم الذي يعرفه إنما هو فضل أعطاه الله إياه ، ومنة مَنَّ بها عليه ، قال الله تعالى : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات : ١٧] .

الأخـوة الإنسانية :

يجب على الداعية في بلاد الأقليات أن يشعر المدعوين أنه أخ لهم في الإنسانية ؛ لأن الإنسانية تشمل الجميع في التكريم الذي منحه الله الإنسان ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

ويجب عليه أن يربي أولاد المسلمين في بلاد الأقليات المسلمة على أن يفطنوا إلى ذلك وأن يعملوا له .

وإشعار المدعوين بذلك ـ قبل الدعوة وفي أثنائها ـ يجعلهم يحسون بالأخوة البشرية ، وعدم التميز الإنساني ، فيكون ذلك أدعى إلى الاستجابة .

ولئلا يشعروا بأن الداعية من جنس آخر معاد ـ بحكم ولادته أو نشأته ـ لهم ، فذلك قد يجعلهم يستمعون إليه ، وقد يقبلون دعوته .

قال الله تعالى مخاطبًا رسوله ﷺ : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [الكهف : ١١٠] .

وذكر القرآن أخوة الأنبياء والرسل للكفار أخوة نسب فقال : ﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ ﴾ [الأحقاف : ٢١] ، وقال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء : ١٠٦] ، ومثل ذلك ورد في هود وقومه ، وصالح وقومه ، ولوط وقومه ، انظر سورة هود .

ولذلك قال الله تعالى : ﴿ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴾ [ق : ١٣] ، فذكر الأخوة في النسب لنبي الله لوط عليه السلام مع ما هم عليه من الكفر .

والأخوة في النسب هي من الأخوة في الإنسانية كما هو ظاهر .

العدل في الحقوق :

وكذلك يجب على الإخوة المسلمين في بلاد الأقليات المسلمة العدل في الحقوق المالية المجردة بين المسلمين وغيرهم ؛ لأن ذلك هو ما أمر به الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ [النحل : ٩٠] ، وذلك يفضي إلى شعور المدعوين بالأخوة الإنسانية ، ويجعلهم يطمئنون إلى المسلمين وما يدعون إليه من الدين ، فلا يسارع الداعية إلى الله لنصرة مسلم ادَّعى عليه كافر بحق من الحقوق المالية ـ أو غيرها من الحقوق المادية التي لا تتعلق بالدين ـ قبل أن يتحقق من تلك الدعوى أهي صحيحة أم غير صحيحة ، فإذا وجد أن الحق فيها مع الكافر فإنه ينبغي أن يسعى في كف المسلم عنه ، وأن يساعده على ذلك ، ولا يمنعه كون الكافر كافرًا من ذلك ، قال تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة : ٨] ، ويجرمنكم معناها يمنعنكم ، والشنآن : البغض .

فأمر الله تعالى المسلمين ألا يمنعهم بغضهم الكافرين أن يعدلوا في أحكامهم معهم ومع غيرهم .

ومن ذلك أنه لا ينبغي للداعية في بلاد الأقليات المسلمة ـ وبخاصة في البلدان المتقدمة إداريًّا واقتصاديًّا مثل غرب أوربا والولايات المتحدة الأمريكية واليابان ـ أن يكون ديدنه سبهم ، وذم كل ما عندهم من تقدم صناعي وطبي وغير ذلك من الأمور العلمية ، كما يفعل بعض الدعاة الذين يظنون أن الدعوة تقتضي أن يسبوا كل ما فعله أولئك الغربيون ، وألا يذكروا شيئًا من محاسن نظامهم في صيانة المصالح العامة من الطرق والمستشفيات والحدائق والشوارع ، بل إنه يظن أن ذمهم وذم كل ما يفعلونه من دون تفريق بين ما هو مادي بحت وما هو ديني إنما ذلك من الدعوة إلى الله ، وهذا غير صحيح ، بل الصحيح أن يذكر ما لدى القوم من أعمال جيدة ، ويذم ما لديهم من أعمال سيئة ، ومن أهم ذلك علاقتهم مع غيرهم في بناء العلاقات بينهم على المصلحة المادية المجردة ، وأن يقارن ذلك بما لدى الإسلام بما يقدمه للإنسانية من نعمة الإيمان والسعادة الروحية لمن أخذ به والتزم ما جاء فيه ، ومن بناء العلاقات بين المسلمين على مقتضى الأخوة الإسلامية التي شملت الفعل والشعور ، كما قال النبي ﷺ : « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** » .

وينبغي له أن ينبه المسلمين في بلاد الأقليات المسلمة على ذلك باستمرار .

ومن الدعوة إلى الله على بصيرة ألا يترتب على الدعوة في بلاد الأقليات المسلمة وغيرها مفسدة كبيرة ، كأن يفتح الداعي بعمله غير المتبصر بابًا ينفذ منه أعداء الدعوة إلى منعه وأمثاله عن الدعوة ، كأن يعطيهم ـ من غير أن

يقصد ـ حجة قانونية لكي يوقفوه ويوقفوا الدعاة غيره ، أو حتى يوقفوه عن الاستمرار في الدعوة ، فإن كثيرًا من أعداء الإسلام يتخذون من أعمال بعض الدعاة غير المتبصرة سببًا يعدونه قانونيًّا لإيقاف دعوتهم ، أو من أجل سلب حقوق المسلمين في بلاد الأقليات المسلمة .

ولذلك يجب على الداعية في بلاد الأقليات المسلمة أن يدرس قوانين البلاد التي يقوم بالدعوة إلى الله فيها ويعرف أنظمتها ، ولا ينبغي أن ييأس فيقول : إن تلك القوانين تحد من الدعوة أو تعرقل عمل الدعاة ، فهذا وإن كان صحيحًا فإنه ينبغي أن يتفادى الاصطدام بقوانين البلاد وأحوالها في كيفية الدعوة بطريقة قانونية أو متمشية مع القانون ، والمراد بذلك أنها لا تخالف القانون في الطريقة ، وليس في الجوهر .

وإذا لم يجد فرصة لذلك فإنه لا ينبغي له أن ييأس ، وإنما يحاول أن يجد أعوانًا له من أهل الخير يقومون بذلك ؛ كأن تكون بعض البلاد تحرم على الأجانب ـ الذين يصلون إليها ـ الدعوة إلى الدين ، ولكنها لا تستطيع أن تفعل ذلك بمواطنيها ، فإن الداعية يستطيع أن يلتمس من المسلمين أهل البلاد من يقوم بالدعوة تحت إشرافه وتوجيهه .

الحكمة والموعظة الحسنة :

نصت الآية الكريمة على الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وهذا تأكيد ؛ لأن الحكمة تقتضي الموعظة الحسنة ، ولكن الله ﷻ أكد ذلك بالنص على الموعظة الحسنة .

ثم بشيء آخر هو أيضًا يفهم من لفظ الحكمة ، ولكن نصت الآية عليه تأكيدًا للأخذ به ، وإرشادًا لمن لا يفهمون ذلك ، وهو (الجدال بالتي هي أحسن) ، قال الله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

وذلك يشمل الدعوة في بلاد الأكثريات المسلمة وفي بلاد الأقليات المسلمة ، وربما كان آكد في بلاد الأقليات المسلمة ، وقد وجدنا أن بعض الدعاة ممن غلبت عليهم الغيرة الدينية وعدم الصبر على المنكرات لا يتقيدون بذلك ، وإنما يندفعون في إنكار المنكر بدون روية ولا نظر في العواقب .

ويكفي في الرد على أولئك أن يتأملوا في هذه الآية الكريمة التي ذكرت الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن .

وقد أكد القرآن الكريم الجدال بالتي هي أحسن في آية أخرى كريمة ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾

[العنكبوت : ٤٦] .

وفيما يتعلق باللين في الدعوة وصولًا إلى المقصود ـ وليس لمجرد اللين والتساهل في الدعوة ـ قوله تعالى مخاطبًا رسوله ﷺ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وما حكاه القرآن الكريم عن موسى وهارون في دعوة فرعون ، ذلك الطاغية الذي ادعى الربوبية حيث قال للناس : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات : ٢٤] ، قال الله تعالى آمرًا موسى وهارون عليهما السلام : ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه : ٤٣-٤٦] .

فالله سبحانه الذي يسمع ويرى ، وهو مع العباد أينما كانوا ـ هو الذي أمر بالدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبالجدال بالتي هي أحسن .

ومن أهم الدعوة بالحكمة : موازنة حصول المصالح بتجنب حصول المفاسد ، وقد ذكر العلماء : « درء المفاسد مقدم على جلب المصالح » .

فالأولى والأحرى البحث في نتائج الدعوة في أي مكان من بلاد الأقليات التي يوجد فيها الداعية ؛ لأن الأماكن من العالم يختلف بعضها عن بعض ، فبعضها تجوز فيه الشدة ؛ لأنه لا يترتب عليها مفسدة أو مفاسد ، وبعضها يجب فيها اللين ؛ لأن ذلك هو الذي يدفع المفاسد .

وينبغي أن يضع الإخوة المسلمون في بلاد الأقليات المسلمة في أذهانهم أنه ربما هدى الله أغلبية من السكان عندهم إلى الإسلام وشرح صدورهم للحق ، حتى يسلموا وتصبح بلادهم بلاد أكثريات مسلمة ، يوم ذاك تنتفي صفة الأقلية عنهم ، بل يصبحون أكثرية ، كما حدث في بلاد الأكثريات المسلمة .

لذلك ينبغي أن يضعوا هذا في أذهانهم عند دعوة مواطنيهم من غير المسلمين ، وأن يأملوا أن يسلموا فيصبحوا إخوة لهم في الدين مثلما هم إخوة لهم في الوطن ، ولكن ينبغي أن يصحب ذلك ما ذكرناه من الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن .

كلمة ختامية :

إن الداعية المسلم المقيم في بلاد الأقليات المسلمة ـ وهو من أهلها ـ هو أعلم بظروف الذين يدعوهم أكثر من الداعية الذي يفد إليهم من الخارج ؛ لأنه يعرف مناحي تفكيرهم فيخاطبهم بما يفهمونه ، وهو أعلم أيضًا متى ينبغي أن يتكلم ، ومتى ينبغي أن يسكت ؛ لأن مصلحة الدعوة أن تكون في السر في بعض الأحيان ، كما كان النبي ﷺ يفعل في أول أمره ، إذ لبث مدة يدعو إلى الله في السر ؛ لأن ذلك أدعى إلى نجاح الدعوة .

ثم إن الداعية أعلم بلغة المدعوين التي يراد منها ليس مجرد معرفة اللفظ أو إتقان الكلمات اللغوية ، وإنما أن تقع الكلمات التي يلقيها الداعية موقعها ، ويكون لها أثرها .

ثم إنه أيضًا يكون من أهل البلاد الذين يقيمون فيها بصفة قانونية ، مثل أن يكون مواطنًا فيها تحميه مواطنته من أن يطلب منه الرحيل عنها ؛ فيكون ذلك أدعى لدوام دعوته وعدم قطعها .

وأخيرًا فإن دور الأقليات المسلمة في الدعوة إلى الله بين الأكثريات التي يعيشون فيها هو دور عظيم ، يجب على الذين يعيشون في بلاد الأكثريات المسلمة أن يقدموا لهم أنواع المساعدات : من ثقافية وعلمية وحتى مالية ؛ لكي يتمكنوا من الدعوة إلى الله على الوجه المطلوب . نسأل الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته ، ويجمع قلوبنا جميعًا على ما يرضيه ، إنه سميع قريب .

https://dawa.center

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies

Dar Altholothia
0007450
SR 10.00